

الوعي والانفتاح في نهج الإمام الرضا (ع)



كانت حياة الإمام الثّامن من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام)، الإمام عليّ بن موسى الرّضا (عليه السلام)؛ مليئة بالعلم والمعرفة والحكمة والدرایة. الجانب الثّقافيّ فيها، كان جانباً موسوعيّاً يتحرّك في أكثر من حقل من حقول المعرفة الإسلاميّة، في العقيدة أو الشّريعة أو الأخلاق، أو في الواقع الذي يعيشه الناس. لقد استطاع الإمام (عليه السلام)، أن يملأ السّاحة الإسلاميّة علماً واسعاً عميقاً يواجه كلّ القضايا الجديدة التي طرحت في الواقع الإسلاميّ من قبل التّيارات المضادّة، وهذا ما جعله يجلس مع كلّ الناس الذين يمثلّلون مختلف التّيارات الفكريةّ، سواء كانوا من الملحدين أو من أهل الكتاب أو من ديانات أخرى غير الكتا بيّة.

وفي الجانب الأخلاقيّ، هناك بعض الأحاديث التي وردت عن الإمام الرضا (عليه السلام).. فعن الحسن بن الوشّاء، أنَّ الرضا (عليه السلام) قال: «من فرَّج عن مؤمنٍ كربلةً فرجَ الله عن قلبه يوم القيمة»، من دفع عن أخيه سواءً وأذىً وغمّاً وهمّاً، فإنَّ الله سبحانه وتعالى سوف يُدخل السرور على قلبه يوم الفزع الأكبر، لأنَّ الإنسان في ذلك اليوم يعيش الأهوال المرعبة، يقول تعالى: (يَوْمَ يُفرَّجُ الْمَرءُ من أخيه* وأمِّه* وأبيه* وصاحبتهِ وبَنْزَيه) (عبس/ 34-36)، وفي هذه الأجواء المذهلة، يُفرَّج الله عن

قلبه، فيفتحه على السرور جراء ما فرّج به عن كربة المؤمن في دار الدنيا. وهذا هو النهج الإسلامي الأخلاقي الذي يفتح وعي الإنسان المؤمن على كربات المؤمنين، ليحمل همومهم، ولি�تحرّك بجهده الإنساني في تفريجها بما يملك من الخبرة والقدرة والانفتاح على الحلول الواقعية لمشاكل الإنسانية التي تنتقل المرة وتكرره.

وفي الجانب الرسالي، يحدّد الإمام الرضا (عليه السلام) ملامح الروح الرسالية التي ينبغي للمؤمن أن يعيشها في حياته، والتي تفتح أمام عينيه الآفاق الرحبة التي تنفتح على مسؤولياته في الدنيا والآخرة، فيقول (عليه السلام): «إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَ بِثَلَاثَةِ مَقْرُونٍ بِهَا ثَلَاثَةَ أُخْرَى: أَمْرٌ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ - وَالزَّكَاةُ تَشْمِلُ كُلَّ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حُقُوقٍ مَالِيَّةٍ - فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَزِدْ لَهُ تُقْبِلَ مِنْهُ صَلَاتُهُ - لَأَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَحَبَسُ حُقُوقَهُ عَنْ أَمْرٍ أَنْ تُعْطَى لَهُ هُوَ مِنَ الْمُنْكَرِ وَالْفَحْشَاءِ، بِاعتْبَارِ أَنَّهَا تَجاوزُ لِلْحَدُودِ.. وَالصَّلَاةُ مَدْرَسَةٌ تَرْبِيُّ الْإِنْسَانَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَمْمَأً أَمْرَ بِهِ، وَعَلَى الْبَعْدِ عَنِ مَعْصِيَتِهِ مَا نَهَى عَنْهُ - وَأَمْرٌ بِالشَّكْرِ لِهِ وَلِلْوَالِدِينِ، فَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ وَالْدِيَهُ لَمْ يَشْكُرْهُ - فَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْمَخْلُوقَ لَمْ يَشْكُرْ الْخَالِقَ، لَأَنَّ الشَّكْرَ يَعْبُرُ عَنْ حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ وَجْدَانِيَّةٍ فِي التَّقْدِيرِ لِإِحْسَانِ الْمَنْعِمِ عَلَيْهِ وَاسْتِجَابَتِهِ لِفَضْلِهِ وَتَفَاعَلَهُ النَّفْسِيُّ وَالْعَمَليُّ مَعَهُ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ طَبِيعَتِهِ وَمَوْقِعِهِ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ امْتِنَاعَهُ عَنْ شَكْرِ الْمَخْلُوقِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَعِيشُ مِبْدَأَ الشَّكْرِ فِي نَفْسِهِ.. وَأَيُّ مَخْلُوقٍ يَمْلِكُ نِعْمَةً عَلَى مَخْلُوقٍ آخَرَ أَكْثَرَ مِنَ الْوَالِدِينِ؟ - وَأَمْرٌ بِاتِّقَاءِ وَصْلَةِ الرَّحْمِ، فَمَنْ لَمْ يَأْصِلْ رَحْمَهُ لَمْ يَتَقَّهُ إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ، لَأَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرٌ بِصَلَةِ الرَّحْمِ، مَا يَفْرُضُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْقِيَامُ بِذَلِكَ طَاعَةً، فَمَنْ لَمْ يَنْفُتْحَ عَلَى الْأَرْحَامِ بِالْمُلْهَةِ كَانَ مُنْحَرِفًا عَنْ خَطِّ التَّقْوَى بِاَنْحِرافِهِ عَنْ خَطِّ الطَّاعَةِ، فِي ذَلِكَ.

أمّا في جانب العدل، يقول (عليه السلام): «استعمال العدل والإحسان مُؤْذِنٌ بدوام النعمة ولا حول ولا قوّة إلاّ بـ». عندما تستعمل العدل في حياتك، ف تكون عادلاً مع نفسك، فلا تظلمها بالكفر والفسق والضلال، وتكون عادلاً مع أهلك فلا تظلمهم بسلطتك، وتكون عادلاً مع ربّك فلا تشرك به شيئاً، وتكون عادلاً مع الناس فتعطي لكلّ ذي حقّ حقّه، وإنّك عندما تُحسن إلى الناس وتبرّهم وتعامل معهم برفق ومحبّة، فإنّ ربيّك يزيد في نعمتك ويديم هذه النعمة. وربما يؤدي العدل والإحسان إلى واقع حيّ في حياة الإنسان العادل المحسن والمتحمّل العادل المحسن في دوام النعمة المتنوّعة في الفرد والمجتمع ارتباطاً للنتيجة بمقدّ ما تها .